آفاق

أجواء صنعاء (١٠)

فضل النقيب

□ في مكتب وزير الإعلام الأستاذ حسين العواضي جرى تعليق صور الوزراء الذين تعاقبوا على هذه الوزارة كابراً عن كابر منذ بزوغ فجر الوحدة اليمنية في ٢٢ مايو ١٩٩٠م، وهم الأساتذة : محمد أحمد جرهوم، حسن اللوزي، محمد سالم باسندوة، عبدالرحمن الآكوع، وأخيراً العواضي الذي أتحدث إليه وأتلفّت إلى سابقيه كلما انشغل بالتليفونات التي لا تكف عن الرنين وبالزوار الذين يدلفون إلى مكتبه المفتوح دون مواعيد أو أي بروتوكول، وقد كنت واحداً من الداخلين على الطريقة اليمنية التي لخصها «أبو معجب» الشاعر الغنائي اليمني الذي ملأ الدنيا وشغل الناس بقوله : «إذا دخلت المدينة قول بسم الله»، أي افعل كما يفعل الناس.

تهيّأ لي – وبعض التهيؤ إثم – أن الصور تقول لبعضها : لو دامت لغيرك ما وصلت إليك، وعلى كل حال فإن هذه سُنّةٌ حسنة، حتى لا نكون مثل الفراعنة الذين كانوا يمضون السنين لنشطب أسماء من سبقوهم من على الآثار الخالدة ونسبتها إلى الحاكم الجديد، ومع ذلك فإن الوزير أو المسؤول لابد أن يترك أثراً يدل عليه ولا يُمحى، كما هو الحال في عالم الجريمة، حيث لا توجد الجريمة الكاملة، فلابد من خيط يقود المحققين إلى «بيت القصيد»، خاصة إذا كانوا من مدرسة «سكوتلانديارد» التي طبقت شهرتها الآفاق.

وعلى كل حال لابد من القول هنا : إن من سنّ هذه السُّنّة الحسنة هو الرئيس علي عبدالله صالح الذي صور الذين حكموا اليمن في العصر الحديث في نسق واحد متتابع بدءاً بالإمام يحيى بن حميد الدين، وابنه «أحمد يا جناه»، ومن ثم رؤساء الشمال والجنوب، وعندما نروج من قبل بعض الذين لا يعجبهم العجب ولا الصيام في رجب قال لهم إن للتاريخ ذاكرة لا يمكن القفز عليها، فهل نقول إن واحداً من هؤلاء لم يحكم اليمن أو جزءاً منها؟ أما التقييم وحكم التاريخ فذلك أمر آخر.

وفي أبو ظبي علقت السفارة اليمنية لوحة ذهبية – والإشارة هي عن اللمعان وليس عن ذهب حقيقي حتى لا تنهال تهم الإسراف والتبذير على الذين قلّدوا السُّنّة الحسنة – وذلك بأسماء السفراء الذين تعاقبوا على تمثيل اليمن السعيد في ذلك البلد الشقيق قبل الوحدة وبعدها.

وعود على بدء، فقد لاحظت أن ذلك الزحام الشديد الذي كانت تشهده هذه الوزارة العتيدة عقب الوحدة قد تلاشى وعادت المياه إلى مجاريها بعد أن تسلّخ من هذه الوزارة ما تسلّخ لصالح الثقافة والسياحة ومؤسساتهما، علماً أن وزارات الإعلام تحولت إلى المهام الإشرافية والتنظيمية، أما الإنتاج فإنها تعطي الخبز لخبازه، ولو أكل نصفه، وغالباً ما يؤكل.

تحدثت إلى الأخ الوزير عن المكانة الجديدة التي تحتلها دبي في عالم الإعلام، حيث تراجع دور المراكز التقليدية لصالح هذا المركز البازغ، وفهمت منه أن النية موجودة لتواجد إعلامي يمني، ولكن العين بصيرة واليد قصيرة.

وتحدثت بعد ذلك إلى الأستاذ محمد شاهر حسن، وكيل الوزارة لشؤون الصحافة، وهو متابع وملم بدنيا الإعلام وله آراء متقدمة ويعرف جيداً قول شوقي، أمير الشعراء :

لكل زمان مضى آيةٌ
وآية هذا الزمان الصحف

وذلك بالمعنى الشامل للصحافة.

دور المؤسسات التعليمية في غرس القيم الحضارية

□ .. يقف الجانب التعليمي والتربوي في الوقت الحاضر على رأس الاهتمامات التي ينبغي أن تتداخل فيها بوادر التوعية والاقتراب من مشاكل وهموم الشباب بتوجيه خطاب تعليمي - تربوي- ارشادي - اعلامي، يتم من خلاله وضع تشخيص دقيق لأوضاعهم وقضاياهم واهتماماتهم لمعرفة خبايا ومصادر الحلول الناجعة في التوجيه والارشاد بضرورة تأسيس هوية ثقافية بعيدة عن التطرف الديني وداعمة للأفكار المعتدلة والموضوعية لعصر القرن الواحد والعشرين بكل ما يحمله من تطور تكنولوجي ومعلوماتي لايسمح بالعودة إلى الوراء في معايشة رؤى ومواقف تلهي الشباب عن مسايرة كافة المستجدات للحاق بركب الحضارة الانسانية المتجددة في إطار المصلحة العامة.

د/أحمد مطهر عقبات

والمؤسسات التعليمية الوسطى والعليا تستقبل الطلاب في ريعان شبابهم الذين يحلمون بمستقبل واعد لوظيفة مناسبة ومعلومات جمة تؤهلهم من القيام بمهامهم المعرفية والعلمية على اكمل وجه، باعتبار أن هذا النوع من التعليم هو فرصة حقيقية للاطلاع والبحث والاستيعاب لكافة المستجدات من مختلف منابعها كذلك فإن التأثير لاشك سيكون عظيما في اتجاهات الشباب وقناعاتهم الفكرية وسلوكياتهم الاجتماعية فيأتي دور المؤسسات التعليمية في التكوين ذو دلالة لايستهان بها في توضيح الأمور الشائكة والجدلية للتعامل مع مختلف القضايا ومنها مسألة الاصلاح التربوي ونبذ العنف.

إن تفعيل الدور التربوي في تأسيس قناعات الاصلاح في أوساط الشباب ونبذ العنف بشتى صوره يقتضي تجنب بوادر التطرف والانغلاق الفكري لأن العالم أصبح قرية صغيرة تجمع الشباب من مختلف الطوائف والأديان والمذاهب والاتجاهات السياسية ، تحركه في الغالب ميكنة الاقتصاد وتبادل المصالح والمنافع المشتركة بين الدول والجماعات والأفراد التي تلتقي عادة في ملعب الصراع من أجل البقاء ، حيث يتحرك اللاعبون وفق ما يمتلكون من خطط انتاجية تنموية وقدرات تواصل معرفي واقتصادي وسياسي يساعد على كسب الرهان والتحرك بحرية وثقة تضمن ديمومة الصمود أمام كافة المتغيرات.

وإذا كان دور المؤسسات التعليمية ينحصر في كمية المعلومات ونوعيتها التي يتلاقاها الطالب من المحاضرات والمراجع الدراسية ووسائل التنمية المعرفية الحديثة وفي مقدمتها شبكات الاتصال فإن رياح الأفكار المتنوعة والاتجاهات السياسية المتعددة تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة على سلوكيات الطالب وقناعاته وبالتالي فإن الاحتياطات المتمثلة في التوجيه والارشاد والتوعية بالعادات والتقاليد الاجتماعية والمصلحة الوطنية والاشراف والمنهج الدقيق لندرسه بعناية ينبغي أن يظل قائما عندما تتداخل النشاطات المدرسية والرياضية والمسرحية والثقافية مع تنظيم مرور ينابيع المعرفة بقناعات الفرز السليم للنوعية وإدراك وتبصر معقول وبامكانية التنسيق مع المؤسسات الثقافية والإعلامية من خارج قاعات الدراسة لكفالة الاخذ بأيدي الشباب إلى الطريق المفترض في اتجاه الثوابت الوطنية وخدمة المصلحة العامة.

وفي هذا الصدد لابد من الاشارة إلى أن تلمس هموم الشباب بواقعية وموضوعية من خلال الندوات والنشاطات العلمية والبحوث والدراسات سيساهم إلى حد كبير في لفت انتباه الجهات المختصة برعاية الشباب لتشخيصها ومناقشتها وايجاد حلول مناسبة لها، وربما أن التعداد الأخير للسكان والمساكن سيكشف الكثير من الحقائق حول أوضاع الشباب المعيشية والاجتماعية والمستوى التعليمي والاقتصادي للأسرة كذلك ستتضح الرؤية حول الاحتياجات الصحية والبيئية والخدمات المطلوبة ، وسيجد الباحثون في باطن الدراسة بعض هموم الشباب على أرض الواقع وتطلعاتهم الحياتية لتجد طريقها فيما بعد للتحليل والمعالجة.

وعموما فإن تنوع مصادر المعرفة والانفتاح على العالم الخارجي بوعي ومسؤولية ومجاراة عصر العولمة بفكر متزن يستوعب كافة المتغيرات بحكمة يمانية معهودة بعيدا عن التعصب والغلو وقريبا من الاعتدال ورافضا للعنف ومرتكزا على الثوابت الوطنية لاشك سيعمق هوية ثقافية قادرة على مسايرة كافة المستجدات الحياتية والمشاركة الفاعلة في تطوير المجتمع.

التنمية والمشكلة السكانية

سامي الحداد

– التنمية بمفهومها الواسع والشامل عملية متكاملة ومترابطة ومتماسكة.. وتمثل الجهد الإنساني والذي يهدف في الأساس إحداث تغيير في البنية الهيكلية للكيان الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمجتمع– والتنمية لا تهتم فقط بتنمية الدخل القومي وتحسين نسبة دخل الفرد فقط... بل وفي كيفية ضبط عملية النمو السكاني وبحيث يتنامى بشكل موزون ويتناسب مع الموارد المتاحة.. وهو عامل الاختلال الذي تعانيه بلادنا وأسفرعن تداعيات وآثار سلبية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والمواطن كانت حصيلته تدني مستوى دخل الفرد.. وإحداث إرباك لهذه المعادلة المضطربة..

– وهو الأمر الذي دفع بالدولة الى اتخاذ حزمة من الاجراءات الكفيلة بالحد من النمو السكاني المتزايد ومن خلال اتباع العديد من الاجراءات «كالصحة الانجابية» والتوعية السكانية وغيرها.. وبما يضمن ايجاد التوازن المشار اليه وتصويب الاختلال الآنف الذكر...

– وبهذا السياق ونحن نعيش أيام المراحل الأخيرة من التعداد السكاني.. أي مرحلة العد الفعلي.. وفي حفل تدشين ليلة الاسناد الزمني قال فخامة الأخ الرئيس علي عبدالله صالح: بأن هناك انفجاراً سكانياً في اليمن.. واغتنمها فرصة لاتحدث مع العلماء والشخصيات الاجتماعية والمثقفين ووسائل الاعلام حول خطورة هذا الانفجار الذي يلتهم الموارد.

– ومن خلال ذلك يمكن أن نستشف حجم هذه المشكلة وهذا الاختلال الناجم عن النمو المضطرد للسكان والذي لايتوازن مع الموارد الطبيعية المتاحة الأمر الذي ينتج عنه تدني مستوى المعيشة ونقص الخدمات وغير ذلك من العوامل السالبة في المجالين الاقتصادي والاجتماعي.

–وإذا كنا خلال هذه الأيام مطالبين بتفعيل كل الجهود الممكنة لحل هذا الإشكال القائم.. وحتى يمكن ايجاد نوع من المعالجة لهذا الاختلال.. كان لابد من اغتنام هذه الفرصة.. لا باتجاه حث المواطن على الادلاء ببيانات وأرقام صحيحة فحسب.. بل وبأخطار النمو السكاني المتزايد اللامحسوب والذي يلتهم الموارد الطبيعية ويؤثر سلباً على المستوى المعيشي للمواطنين ويؤثر في تدنيه.

– ومن هذا المنطلق، أضحى الجميع أمام مسئولية وطنية وبدون استثناء وتتمثل بكيفية توعية المواطن بأخطار هذا الاشكال والاختلال القائم وتأثيره السلبي على التنمية الاقتصادية والاجتماعية.. وبكيفية ضبط عملية النمو السكاني و المعالجات والحلول التي ينبغي الأخذ بها في هذا الاتجاه..

– ولذا ففي الوقت الذي اصبحت فيه وسائل الاعلام والمجالس المحلية في الوحدات الادارية المختلفة والعلماء وخطباء المساجد مطالبين بالنهوض بالمهمة.. كان لابد من الانغماس بين المواطنين والاحتكاك بهم أكثر من أي وقت مضى.. وبهدف ايضاح الأسباب المباشرة لتدني المعيشة ومستوى دخل الفرد.. وبفحوى الاختلال القائم بين النمو السكاني المضطرد والموارد المتاحة.. وبأن النقص في الخدمات أو تدني فعلها يرجع الى ذلك الاختلال.. ولكون بعض المواطنين أنفسهم قد أسهموا بشكل مباشر وغير مباشر في توسيع الفجوة القائمة وتصعيد نسبة الاختلال المشار اليه وذلك من خلال ادلائهم بمعلومات غير صحيحة في التعداد السابق.. فأثرت تلك البيانات المغلوطة على عملية التخطيط وتوزيع المشاريع والخدمات بين مختلف المحافظات و العزل والمديريات، وبشكل عادل ومتوازن.. وهو أمر يتطلب التنبه اليه والعمل على تجاوزه وتخطيه.

– والأمر الثاني ويرجع الى بعض المعلومات الخاطئة والتي استحوذت على عقول البعض ممن لايريدون ذكر أسماء زوجاتهم وبناتهم.. بحجة أن الدين الاسلامي يحرم ذلك في الوقت الذي لم يخف الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم أسماء بناته وزوجاته.. و آخرون يتذرعون بأن تحديد النسل «حرام» في الوقت الذي هم مطالبون «بتنظيم الأسرة» لا بتحديده أو بتره نهائياً وذلك بما يضمن إيجاد أسرة قادرة على العيش ومواجهة أعباء الحياة وفقاً للدخل المتاح لديها.. وهناك أيضاً من يتذرع بالادلاء بالمعلومات الصحيحة بأنها تتصل بالزكاة وبالواجبات ولذا كان لابد من اخفاء العدد الحقيقي للسكان حتى يقطع دابر هذا الأمر.. ليجدوا في الأخير بأن ذلك لاصلة له على الاطلاق بالزكاة أو بالواجبات بل كان له تأثيره السلبي عليهم في عدم تزويدهم بالمشاريع والخدمات الضرورية بالشكل الأمثل وبما يتواءم مع عدد السكان الفعلي– أي أنهم كانوا هم أنفسهم سبباً في ذلك الوضع.

– وهو الأمر الذي يقتضي من علماء وخطباء المساجد ايضاح لهذه الأمور وإزالة الالتباس الذي رافق عقليات البعض ويحثهم على الادلاء بالبيانات الصحيحة وبأنها بأيدي الدولة وسيتم التحفظ عليها... ولن تفشى على الاطلاق.. وبأنهم مطالبون بتنظيم النسل لا بتحديده.. وإيراد الجدوى الذي سينتج عن هذا التنظيم في تحسين وضع الأسرة.. والاسهام في حل الاختلال القائم بين النمو السكاني والموارد المتاحة.. وذلك باعتبارها فرصة يمكن من خلالها حصد الأهداف المرجوة من التعداد بإيجاد قاعدة معلوماتية رقمية صحيحة يستند عليها في وضع خطط التنمية والمعالجات السكانية.. وتحديد المؤشرات المستقبلية للوضع السكاني وفي إيضاح اسباب وحيثيات ما تعانيه الدولة من تبعات وأعباء النمو السكاني المضطرد والمتزايد.. والذي يأتي على حساب الموارد المتاحة ويعمل على ابتلاعها لهذا بالاضافة الى ضرورة البحث من قبل كل الباحثين والمهتمين بالقضية السكانية.. بكيفية وضع الحل الأمثل لهذا الاختلال.. وذلك لا من خلال ايجاد النمو السكاني المتوازن.. بل وفي كيفية استغلال الموارد الطبيعية المتاحة.. والبحث عن موارد جديدة توفر امكانية النهوض الاقتصادي والاجتماعي وتوفير مقومات نجاح عملية التنمية الشاملة.. وتفادي الانفجار السكاني كخطر داهم سيصعب فيما بعد كبحه أو السيطرة عليه وبعد فوات الأوان..

وجهة نظر

إبراهيم المعلمي

«موبايل»

● **من مميزات التنافس في تقديم الخدمة او السلعة أو حتى السياسة.. أنها تفرز الأفضل وتقدم الأجود.. وهذا الأفضل هو من يتربع على العرش في نهاية الأمر.. ليس في حجم المردود المادي أو المعنوي.. ولكن أيضا في عقول وقلوب وجيوب أكبر قدر من المستهلكين وعامة الناس.**

● وهذا التنافس ينبغي أن يكون شريفا ونزيها يقوم على أساس البحث في ابتكار واختيار أحدث السبل لتقديم أفضل وأسهل الخدمات دون الأضرار المتعمد بالآخرين .

● **ومن محاسن هذا التنافس أنه يقضي على الاحتكار ويتيح الفرصة أمام الجميع في الشراكة والمشاركة في تقديم أو استقبال الخدمة او السلعة أو حتى ممارسة الحق السياسي بما نعرفه بالديمقراطية والتعددية وحرية الرأي والتعبير..**

● ولعل التنافس في تقديم خدمة الاتصالات الجوالة او السيارة او المحمولة.. كما يحلو لأي منا أن يسميه.. يمثل الانموذج الأبرز في اليمن.. وكلما زاد عدد مقدمي الخدمة الواحدة في الساحة .. كلما تضاءلت فرص الاحتكار وتراجعت نوايا الاستغلال ونوازع الابتزاز التي لاتخلو من تفكير أصحابها وممارساتهم المبطنة .. كما كان الوضع في ظل احتكار شركتين اثنتين فقط لتقديم هذه الخدمة.

● **وهو ماناحظه في محاولات هاتين الشركتين لتحسين ادائهما واعادة النظر في تعريفاتها السعرية بفعل إنشاء شركة (يمن موبايل) كمنافس جديد.. بأسعار معقولة وتكلفة مقبولة وبما تتميز به من مواصفات حديثة ووسائل خدمة متطورة وممتازة أخذت بآخر الابتكارات في مجال صناعة وتقديم خدمة الاتصالات في العالم.**

● ومايزيد من اقبال الناس على الاشتراك في هذه الشركة الجديدة هو الاطمئنان إلى انها ليست خاصة ولاتسعى إلى الكسب والربح بقدر ماتهدف إلى تقديم أفضل الخدمات للمواطنين وحمايتهم من الممارسات الاحتكارية.

almalemi@hotmail.com

نحو معايير جديدة للتقدم الإنساني

السيد ياسين ●

□ ترى ما الذي يدعو العالم الغربي إلى إعادة التفكير في مفهوم التقدم ومحاولة إعادة صياغته بما يتفق مع الظروف المتغيرة للمجتمع العالمي؟ هل هي العولمة بكل تجلياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والتي قلبت الموازين السائدة، هي السبب؟ هل النجاح الاقتصادي في العديد من البلاد، والذي رافقته في نفس الوقت مظاهر سلبية تكشف، ليس فقط عن التخلف الثقافي، بل عن ردة حضارية حقيقية، هو السبب؟ أليست العنصرية الجديدة التي انبثقت في قلب أوروبا المعاصرة ودعوات التطهير العرقي التي كشفت عن بربرية حقيقية كامنة خلف النسيج الغربي البراق، ما يدعو إلى صياغة مفاهيم جديدة عن التقدم الإنساني تتجاوز الصياغات القديمة للمفهوم الغربي؟

في تقديرنا أن كل ما أشرنا إليه من ظواهر قد يكون وراء البحث عن مفهوم جديد للتقدم، ولكن أعمق من هذه الأسباب جميعاً أن الأطر النظرية، التي مارست العلوم الاجتماعية والإنسانية أبحاثها في ضوئها، والتي سادت بعد الحرب العالمية الثانية، سقطت وتهاوت وبرز قصورها عن فهم الواقع العالمي واقتراح الحلول لمشكلاته العميقة بعد نهاية الحرب الباردة على وجه الخصوص.

لقد كان انهيار الاتحاد السوفييتي والكتلة الاشتراكية ونهاية النظام الثنائي القطبية، الذي قام على أساس التنافس والصراع وأحياناً التعاون بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية، إيذاناً بسقوط الأطر النظرية القديمة في العلاقات الدولية والسياسة المقارنة وعلم الاجتماع وعلوم الاقتصاد والإدارة، وبدأت محاولات إبداعية لصياغة أطر نظرية بديلة أكثر قدرة وأعظم كفاءة في وصف الظواهر وتفسيرها والتنبؤ بها سعياً وراء التحكم فيها، إن كان ذلك في الإمكان، مع صعوبته البالغة في مجال الظواهر الاجتماعية، وفي هذا الإطار الزاخر بالنقد والمراجعة والإبداع سقطت مفاهيم قديمة وقامت مفاهيم جديدة، بل أعيدت إلى الحياة نظريات كان قد تم هجرها من قبل.

لقد انتهت مرحلة نموذج المجتمع الصناعي الذي انبثق عن الثورة الصناعية الأوروبية وفتح الباب واسعاً وعريضاً أمام نشوء مجتمع المعلومات الكوني، الذي هو التعبير البليغ عن الثورة الاتصالية الكبرى ومجالاتها الرئيسية وأبرزها البث التلفزيوني من خلال الأقمار الصناعية وشبكة الإنترنت بكل آثارها العميقة، السياسية والاقتصادية والثقافية، وهكذا برزت مفاهيم لم تكن موجودة من قبل مثل الديمقراطية الرقمية والتجارة الإلكترونية والاتصالات عبر الحضارية.

وهكذا يمكن القول : إن السعي إلى إعادة صياغة مفهوم جديد للتقدم يكاد يكون المعادل الموضوعي – لو استخدمنا لغة النقد الأدبي – لسعي الإنسان في هذه المرحلة التاريخية في حياة الإنسانية إلى صياغة مفهوم جديد لمعنى الحياة.

كيف نشأت فكرة التقدم؟

□ وفكرة التقدم في تعريفها العام المبسط لا تخرج عن الاعتقاد الذي مبناه «أن التاريخ بشكل عام يتقدم تقدماً مطرداً من مرحلة إلى أخرى في اتجاه تحسن الوضع الإنساني المادي في شكل تحقيق حياة أكثر صحةً وسعادةً وأمناً وراحةً، وذلك بالنسبة لأعداد متزايدة من البشر»، بعبارة أكثر بساطة فإن التقدم يعني أن أحوال الإنسان – على المدى الطويل – سوف تتحسن وترتقي إلى الأفضل.

وفكرة التقدم الغربية، التي وصلت إلى ذروتها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تحطمت على صخور الوقائع التاريخية البشعة في القرن العشرين، والتي تمثلت في الحرب العالمية الأولى بكل بربريتها التي خاضتها ضد بعضها الدول الأوروبية (المتقدمة) المتنافسة على النفوذ العالمي، وبعدها الحرب العالمية الثانية بكل أهوالها، ولا ننسى مقدماتها في ظهور النازية والفاشية، والتي هي تيارات أيديولوجية متعصبة تسير ضد منطق التقدم، غير أن هناك سؤالاً آن الأوان لطرحه، وهو : ما هي المكونات الأساسية لمفهوم التقدم الغربي؟

هناك في الواقع خمسة مكونات أساسية، سبق لعالم الاجتماع الأمريكي المعروف «روبرت نيسبت» أن حددها في كتابه المعروف «فكرة التقدم»، وهذه السمات هي : أولاً الاعتقاد في قيمة الماضي، وثانياً هي فكرة أساسية كانت أحد أسباب رفض الثقافات غير الغربية لمفهوم التقدم الغربي، وهي الاعتقاد في نبل، إن لم يكن في سمو، الحضارة الغربية وتجاوزها لكل الحضارات، وثالثاً التركيز على أهمية النمو بالمعنى الاقتصادي والتكنولوجي، ورابعاً الإيمان بالعقل والاحترام الشديد للمعرفة العلمية والمدرسية التي تنبع فقط من العقل وليس من أي مصدر آخر، ومن هنا شاعت المقولة في المناخ الفكري الغربي منذ عصر التنوير أن العقل هو محك الحكم على الأشياء، وتبقى السمة الأخيرة في التأكيد على الأهمية العميقة التي لا يمكن تجاهلها لقيمة الحياة الدنيوية، وربما كان هذا التأكيد رداً على المفاهيم السائدة في ديانات سماوية شتى، والتي مفادها أن الحياة الدنيوية لا قيمة لها إذا ما قورنت بالحياة الآخرة التي وعد بها الله سبحانه وتعالى عباده المتقين.

التمرد على فكرة التقدم

□ يمكن القول : إن موجات التمرد على فكرة التقدم بدأت مع بداية القرن التاسع عشر، ويمكن رد أسباب التمرد إلى عوامل متعددة لعل أبرزها ظهور سلبيات الرأسمالية الصناعية في بداياتها الأولى، ونحن نعلم من تاريخ التصنيع الغربي – حيث غابت إجراءات الأمن الصناعي – أن الآلات كانت تأكل أطراف أجسام العمال، وأن الأطفال والنساء والرجال كانوا يجبرون على العمل (١٨) ساعة يومياً، ووصل تردي الأحوال إلى أن العمال قاموا في بعض الفترات بتحطيم الآلات والعودة إلى قراهم الأصلية احتجاجاً على غياب الأمن والأمان.

ولا شك في أن من بين أسباب التمرد – أيضاً – إجراءات القمع السياسي العنيفة التي مارستها الحكومات الأوروبية غير الديمقراطية ضد الجماهير، وقد أدت كل هذه العوامل إلى تصاعد الشعور بالأزمة، الذي وصل إلى مد الإحساس بتدهور وانهيار مشروع الحداثة الغربي كله، والذي كانت فكرة التقدم تمثل أحد أسسه، وقد عبّر عن أزمة الحداثة الغربية علماء وفلاسفة غربيون كبار على رأسهم «فرويد»، مؤسس التحليل النفسي، و«دوركايم»، مؤسس علم الاجتماع، و«جورج لوكاتس»، الفيلسوف والناقد الأدبي الكبير، غير أن الباحثين المرموقين يلفتون نظرنا إلى أنه في الستينيات على وجه الخصوص – ربما بسبب الرعب النووي – وبعد امتلاك دول متعددة للقنبلة الذرية وازدياد حدة الصراع بين القطبين الكبيرين (الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية)، شاعت مخاوف نهاية العالم التي حلت في الواقع محل الآمال التي ذاعت مع الألفية الثانية مصاحبة لصعود فكرة التقدم وما زرعته من يقين لدى البشر من أن التاريخ يتقدم من مرحلة تاريخية إلى مرحلة تاريخية أخرى، ولكن بعد مرحلة التمرد بدأت مرحلة أخرى أكثر إيجابية تتمثل في السعي إلى إعادة صياغة مفهوم التقدم، على أساس أنه ما زالت هناك قوى تستطيع أن تعمل على إحداث التقدم، وإن كان ذلك يدعو إلى إعادة صياغة نظرية الحداثة ذاتها.

ولعل أهم ملامح إعادة هذه الصياغة هي التخفيف من حدة الإيمان المطلق بالعقل، والذي كان من مكونات الحداثة الغربية، ذلك أنه حدث في إطار الممارسات الثقافية الغربية سوء استخدام للعقل الإنساني، بل سخّر للإضرار بالبشرية، ولعل ذلك يظهر، أول ما يظهر، في سباق التسلح العقيم الذي أُهدرت فيه بلايين الدولارات على صنع أسلحة لم تُستخدم إطلاقاً، ولم يكن مقدراً لها أصلاً أن تُستخدم، وفي مقدمتها القنبلة الذرية، لأن استخدامها مرة واحدة والرد على ذلك فيه فناء للبشرية، كما أنه لابد في نظرية الحداثة الجديدة من وضع الأسس المتينة لمنع استخدام القوة في العلاقات الدولية والقضاء على مصادر العنف داخل المجتمعات وفي ما بينها، وهناك دعوة أخرى لتجاوز نظرية التنمية التي سادت قرابة نصف قرن والتركيز على نوعية الحياة والقضاء على الفقر والاهتمام بالجوانب المعنوية في الحياة الإنسانية، بالإضافة إلى النمو الاقتصادي التقليدي، ولعل هذا ما دعا لجنة دولية شكلتها الأمم المتحدة، هي لجنة «حماية أمن الإنسان»، إلى صك هذا المفهوم الجديد – نعني «حماية أمن الإنسان» – ليحل محل التركيز الشديد على حماية الأمن القومي، بحيث تُنقل بؤرة الاهتمام من الدول إلى البشر في كل مكان وفق استراتيجيات كونية مصممة للرقي بالوضع الإنساني.

وفي سياق الصياغة الجديدة لمفهوم التقدم تم التركيز على القوى الفاعلة التي يمكن لها أن تنهض بالمجتمعات، وتم الالتفات إلى الدور الحاسم للمثقفين في رفع الوعي الاجتماعي والثقافي للجماهير العريضة، بالإضافة إلى بروز الدور الإيجابي لمؤسسات ومنظمات المجتمع المدني، ونعني الجمعيات غير الحكومية والأحزاب السياسية والنقابات المهنية والعالمية، ولعل بروز ما يطلق عليه الآن «المجتمع المدني العالمي» – مصاحباً لنمو «وعي كوني» يركز على عولمة المشكلات الإنسانية ويتخطى الحدود التقليدية للدول ويعبر الجسور بين الثقافات المتنوعة – يشير إلى أن مفهوماً جديداً كونياً للتقدم تجري الآن صياغته، وتتشارك في هذه الصياغة أطراف شتى، محلية وإقليمية وعالمية بواسطة حوار الثقافات الذي تصاعدت وتيرته في العقد الأخير وبدأ يتواجد بالفعل، وتتخذ هذه الصياغات اتجاهات شتى، بل وأصبح لها تطبيقات فعالة.

وهكذا يمكن القول : إن الإنسانية كلها مشغولة عبر دروب شتى بإعادة التفكير في مفهوم التقدم، وإن كانت كل ثقافة إنسانية معاصرة تحاول النبش في جذورها التاريخية للعثور على المعاني الأصلية للفكرة سعياً وراء الحوار المشترك لصياغة مفهوم كوني لها بما يتفق مع الطموح المعاصر لعالمية القيم بدون أن يكون في ذلك قضاء على الخصوصيات الثقافية.

● **كاتب عربي**

أين أيام زمان!!

حسين جمال البكري

□ .. وبعد غياب طويل عدت لزيارة تلك الأسرة العربية كنت قد تعرفت عليها في إحدى رحلاتي.

كانت تربطني بأفرادها صداقة طيبة حميمة.

● فتحت الأم لي الباب مرحبة بي إلى صالة الضيوف زوجها سلم ثم دخل غرفته وأولادها الذين كبروا استقبلوني بروح وأحاديث (البزنس) الخالية من مشاعر المودة والصداقة وكانت كل الاسئلة تدور حول الفلوس كم معي من (دولارات)!

وبعد هنيهه قدموا لي فنجان شاي وعلى عجل وكلام عن أحوال المال وقبل أن يغادر ابنها الأكبر إلى الخارج.

قالت له: عندما تعود احضر لنا دجاجة محمرة وأرز و.و.. وبعد أن خرج التفتت نحوي قائلة وهي مسرورة : لم أعد أدخل المطبخ إن الأكل الجاهز أحسن وطعمه ألذ!!

وعلى الفور استأذنت وغادرت وأنا مشغول بهم وبأحوالهم .. هيه أين هم من أيام زمان !! أيام الخير والمحبة والاسرة المتماسكة فحين كنت ازورهم قبل سنوات كنت أجد حياتهم اسهل وأجمل وابتساماتهم أكثر صدقا .. ثم أين الأكلات اللذيذة التي كانت أمهم نفسها تتباهى بتحضيرها وطبخها مثل المحاشي وأنواع أخرى.. و.. وحلويات.

ثم أين جلسات المودة والمرح بدون ذكر بزنس الدولارات اعطيتهم هديتي وخرجت نعم إن أيام زمان كانت الأجمل مع المشاعر الانسانية المرهفة هذا رأيي أنا فهل لناس البزنس دولار وفي هذه الفترة الزمنية بالذات رأي آخر!!

● إن الفلوس جميلة بشرط أن تكون وسيلة لصنع الفضيلة والسلام لا وسيلة للقهر والقتل والاستكبار!.